الحرب في موقع متقدّم

قصة بقلم محسن يوسف

النجوم فوقنا تنفجر وتتناثر ، وما حولنا امتلأ بالدخان والروائح والاصوات . التصقت سماعة هاتف الميدان باذني ، وفجأة ، انفجر فيها صوت ضخم :

ـ هنا (طارق بن زياد) . من انت ؟ .

« رطبوا شفاهكم بماء القرب . اصقلوا شفار سيوفكم بالزيت ، ارفعوا الراية التي لم تهزم . انه يومكم الذي توجعت لاجله امهاتكم .. » .

« راحت النار تلتهم الاشرعة ذات اللون الواحد ، والخشب الافريقي .. »

ـ محارب .. في موقع متقدم ..

« هزم « لذريق » وها هي الاندلس الخضراء ، تهب بكارتها لقائد الجند القادم من الصحراء . »

جميع الاشياء تعيش اضطرابا لا مثيل له :

ـ العدو يهاجم بجميع اسلحته .

ـ قاتله بشراسة ولا تدعه يتقدم .

ـ « سيوفي » ليست بكافية ، أحتاج الى (سيوف الزلاقة) .

ـ اقول لا تدعه يتقدم .

« اصبحت الضفة الثانية بعيدة جدا » الجميع يحاربون الاعداء « الجبناء لا يحاربون » .

صمدنا طويلا . لم يبق من عناصر الموقع سوى ثلاثة ، أحدهم قطعت احدى يديه ، امتلأت حفرة الثاني بالدماء . الثالث اقترب مني وهو يلهث :

ـ اطلب نجدة ..

ـ (طارق) غير موجود .

ـ سيسقط الموقع بين لحظة واخرى .

ـ سقطت (الاندلس) .

انفجر الصوت الضخم مرة ثانية :

ـ هل قضيتم على الاعداء ؟.

* * *

بقي مبتور اليد والجريح . عندما وصل (طارق) ببذته الرسمية ، قدناه الى الحفرة المملوءة بالدم :

ـ جئت لاحارب معكم .

قهقه الرجلان وهو برينا سيفه المصقول بالزيت ، بينما احدى القذائف تأخذ السيف المشرع لتفرسه في الارض :

ـ ما هذا ؟.

ـ الحرب ...

ـ اين الاعداء ؟.

ضحكنا :

ـ « على الضفة الثانية » .

ازداد القصف غزارة ، وظل رأس الرجل مرفوعا . تحركت اليد بالسيف وغابت في الليل ، والنيران تلتهم المكان :

ـ يذكرني هذا المشهد (بحريق السفن) .

ضحكت بصوت عال :

ـ احرقتها كلها ما عدا واحدة .

ـ . . . . . .

ـ عدت بها وارسلت منشورا قلت فيه : ليس لكم الا النصر او الموت ، وكنت هناك على الضفة البعيدة . ماذا كنت تفعل ؟.

ـ . . . . . .

ـ اجب ..

ـ و « الاندلس » ؟.

ـ بلاد الواق واق ؟. ما ابعدنا عن الاحلام التي غرست في الارض البكر التي انتم اصحابها ؟.

ـ ماذا تقول ؟.

ـ اقول . ان كل الامور غير واضحة . لم تصنعوا شيئا قبلنا .

ـ وتاريخنا الطويل ؟.

ـ انني احارب في سبيل الارث الكبير .

ـ الارث ؟.

ـ اقصد الاعداء .

ـ اتعني اننا لم نحاربهم ؟.

ـ . . . . . .

ـ لم يعد في قوس الصبر منزع . سيأخذ السياف رؤوسكم دفعة واحدة .

ـ يا لدماء الفرسان ما ارخصها في سوق النخاسة!.

انهالت على المكان مجموعة قذائف ، وصمت (طارق) الى الابد ، وكنا ما نزال نحمي الموقع المتقدم ..